3- مواجهة الضغط الأمركي في ظل جائحة كورونا

الأستاذة المساعدة الدكتورة: هيفاء سليمان الامام
أستاذة جامعية في مادة الحضارة العربية الإسلامية
ورئيسة تحرير مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة
الجامعة اللبنانية الدولية LIU / البقاع –لبنان

تاريخ الاستلام:2021/10/25 **تاريخ القبول:2021/11/25**

ملخص

تسلط هذه الورقة البحثية الضوء على أزمتين معاصرتين أثقلتا كاهل الشعوب والدول في المنطقة العربية. كانت الأولى الحصار القاسي والضغط الاقتصادي الذي فرضته الهيمنة الأمريكية على سوريا ولبنان، أما الثانية فكانت وباء كورونا الذي أصاب العالم، وكان تأثيره الأقوى على الدول الفقيرة التي لا تملك استراتيجيات استباقية للأزمات والكوارث. والواضح هنا أن كورونا ستثير كل ما هو صامت من الصراعات وتحرك أكثر ما هو قائم منها، وهذا يعني أن دول المنطقة ستعاني بدرجات متفاوتة، الأمر الذي يعني أن المواجهة مع أمريكا سوف تتعاظم، ذلك أن الأمريكان والقوى الإقليمية يلعبون بحذر شديد لعبة شد الحبل، كل واحد منهما يريد أن يوظف أزمة كورونا لصالحه وعلى طريقته الخاصة، هذا إذا ما تصاعد الصراع الأمريكي– الروسي، وهو احتمال أقوى من التفاهم وبالشروط الروسية. من هنا قامت بعض الصحف العربية بمناقشة أثر أزمة تفشي وباء كورونا في العالم، على مكانة الولايات المتحدة الأمريكية، وانتقد بعض كُتابها سياسات إدارة الرئيس الأمريكي، دونالد ترامب، وطريقة تعاملها مع أزمة تفشي الوباء. فقد كشفت أزمة كورونا مدى الوهن، الذي أصاب الولايات المتحدة، ليس بسبب عدم كفاءة نظامها الصحي فحسب، وإنما أيضًا بسبب إدارة الأزمة التي جاءت مرتبكة ومترددة، مما ساهم في تصدرها لعدد الإصابات في العالم، حيث أصبحت تستحوذ على أكثر من خُمس الإصابات العالمية في فترة زمنية قصيرة جداً.

Summery

This research paper sheds light on two contemporary crises that have burdened peoples and countries in the Arab region. The first was the harsh siege and economic pressure imposed by the US hegemony on Syria and Lebanon, while the second was the Corona epidemic that crisis the world, and had the strongest impact on poor countries that do not have proactive strategies for crises and disasters. What is clear here is that Corona will provoke all the silent conflicts and move more of the existing ones, and this means that the countries of the region will suffer to varying degrees, which means that the confrontation with America will intensify, because the Americans and the regional powers are playing with great caution the game of tug of war, every One of them wants to use the Corona crisis to his advantage and in his own way, if the US-Russian conflict escalates, which is a stronger possibility than understanding and on Russian terms. Hence, some Arab newspapers discussed the impact of the Corona epidemic crisis in the world on the position of the United States of America, and some of their writers criticized the policies of the administration of US President Donald Trump, and its approach to the crisis of the epidemic. The Corona crisis revealed the extent of the weakness that afflicted the United States, not only because of the inefficiency of its health system, but also because of the management of the crisis that came confused and hesitant, which contributed to its number of infections in the world, as it acquired more than one-fifth of global injuries in a period of time. Very short time.

المقدمة

ستنحسر الأزمة الصحية بعد أسابيع، طالت أم قصرت كغيرها من الأزمات السابقة، لكن آثارها الاقتصادية ستبقى معنا إلى وقت أطول. فالعالم بعد «كورونا» لن يكون

كالعالم قبله. فعلى مدى العقود الماضية ظلت الولايات المتحدة الأمريكية ممسكة بقيادة الدفة العالمية، متأهبة للتدخل في الأزمات الكبرى، وتقديم الدعم والعون لحلفائها أوقات الشدة المحن. لكنها اليوم تتكفئ على نفسها مغلقة أجواءها وحدودها تاركة حلفاءها يخوضون وحدهم معركة غير متكافئة مع عدو غير تقليدي وغير مرئي هذا العدو آثاره بادية للعيان لا تتوقف عند الخسائر في الأرواح بل تهدد بانهيار الاقتصاد وتقويض أسس النظام العالمي كما عرفناه.

إشكالية البحث:

من هنا، هل تطوي أزمة كورونا صفحة التفرد الأمركي المطلق في قيادة العالم؟ وهل تحمل حقا في ثناياها بذور نظام عالمي جديد تتحول فيه القيادة شرقا؟؟؟ وما هي استراتيجية قوى المقاومة لمجابهة تحديات هذا المستقبل؟ وما دورها في تسريع انحسار الهيمنة الأمريكية في عالم ما بعد جائحة كورونا؟

أهمية البحث:

تأتي أهمية هذه الورقة البحثية من خلال تسليط الضوء على تأزم العالم عامة ومنطقة الشرق الأوسط بشكل خاص ، في ظل جائحة لا تعرف الرحمة، إضافة الى انحسار تسلط واستقواء أمريكا وحلفائها، الغارقة في حل أزماتها الداخلية، وصعود منافسيها خارجيا، مما قد يحدث تغيرات جيو–استاريجية جديدة تستطيع الاستفادة منها قوى المقاومة في المنطقة.

أهداف البحث:

تهدف هذه الورقة البحثية الى تركيز مفهوم الصمود أمام غطرسة أعداء الأمة المتهالكين في حل أزماتهم الداخلية، وبسبب أطماعهم الخارجية وسياساتهم الخاطئة والمرتبكة.

منهجية البحث:

استعملت في هذه الدراسة المنهج التحليلي لوقائع التاريخ وحقائقه وعرضها بأسلوب شيق.

كلمات مفتاحية:

لبنان– جائحة كورنا– تأزم العالم– الحصار الأمريكي– التوجه شرقاً.

المتن:

1. جائحة كورونا وتأزيم العالم

ثمة إجماع على أن ما بعد جائحة كورونا لن يكون كما قبلها. ولكن بالتأكيد ليس بسبب فعلها المباشر بالرغم من أنها ستؤثر في الجميع سلباً، وإن بتفاوت. فما بعد

فيروس كورونا، سيعيد إنتاج ما كان قبلها من صراعات وتناقضات. ولكن بعضها بصورة أقوى إلى مستوى التفاقم، وبعضها بصورة أضعف وأخف.

فكما أن الحروب تلعب دورا حاسما في هزّ وتيرة الجمود داخل المجتمعات وبين الأمم، إذ هي أداة التاريخ غير الواعية، فإن الكوارث الطبيعية والبيولوجية –من طواعين وأوبئة وجوائح شأنها في ذلك شأن الأزمات الاقتصادية والسياسية وغيرها– تلعب دورا مهمًّا –وأحيانا حاسما– في هزّ الجمود وتحريك التوازنات داخل الدول وفي ما بينها.

فضمن المنافسة الجيو– استراتيجية والاقتصادية بين الولايات المتحدة والصين، وربما حتى في حجم المؤامرة الكبيرة المعادية لإيران.

فإن تطور مثير للاهتمام في الحملة العالمية ضد الوباء الجديد، تحوَّل علم فيروس كورونا إلى معركة جديدة حول المعرفة واستنزاف العقول، واتجاه جديد في منحى الاستغلال على طريقة الرئيس ترامب. **مناورته الانتخابية الترامبية بانتظار لقاح مضاد لفيروس كورونا.**

والحقيقة أن جائحة كورونا هي أشبه ما يكون بحرب، ستخرج منها جيوش منتصرة وأكثر قوة ومناعة، وأخرى مهزومة ومثخنة. فعالم السياسة ليس بعيدا عن عالم الحروب والجيوش، علما بأن هذا الوباء المُعَوْلَم هو أشبه ما يكون بحرب ساخنة وشرسة، ولكن من دون جيوش مرئية أو عدو واضح الوجه والمعالم، ومن دون أسلحة خفيفة أو ثقيلة. الواضح أن كورونا ستثير ما هو صامت من الصراعات وتحرك أكثر ما هو قائم منها، وهذا يعني أن دول المنطقة ستعاني بدرجات متفاوتة من مخلفات أزمة كورونا؛ وإن كان بعضها معرضا لمخاطر وهزات أكثر من غيره بحكم ضعف الموارد والإمكانيات.

إن الحصار الأمريكي الخانق على إيران اشتد مع هجمة انتشار كورونا، وهو بمثابة حرب ولكنه ليس حلاً ولا يمكن الاكتفاء به، ما دامت إيران صامدة. بل مستمرة في تطوير صواريخها. وليس هناك ما هو أبلغ من إطلاق قمر صناعي، وهي في وسط الحصار وفي عين عاصفة كورونا.

الأمر الذي يعني أن المواجهة بين أمريكا وإيران سوف تتعاظم بعد كورونا ما دام الكيان الصهيوني يفضل أن تكون أمريكية– إيرانية، من أن تكون بينه وبين حزب الله. ولكن ستكون موازين القوى العالمية قد فعلت فعلتها في مصلحة إيران، بسبب ارتفاع حدة الصراع بين أمريكا والصين على إثر انتشار فيروس كورونا إلى مستوى قد يصل حافة الهاوية. وهنا ستتحول الصين إلى حليف لإيران ومناصر لها أكثر من ذي قبل

أضعافاً، إذا ما وُضِعت بالزاوية.

فقادة أمريكا وقادة الكيان الصهيوني يعتبرون إيران هي المسؤولة عن تسليح المقاومتين في قطاع غزة ولبنان ضد الكيان الصهيوني. والأهم يعتبرون برنامجها الصاروخي البالستي، وما كشفت عنه من تطوير لقدرات تكنولوجية حين أسقطت الطائرة الأمريكية المسيرة من علو 50 ألف متر، أو حين قصفت القاعدة العسكرية «عين الأسد» الأمريكية في العراق، يشكل خطراً وجودياً على الكيان الصهيوني، أو على الأقل يشكل حرماناً لجيش الكيان الصهيوني من امتلاك التفوق العسكري الكاسح على المنطقة العربية– التركية– الإيرانية، كما كانت المعادلة بعد عام 1950 حتى 2000. هذا فضلا عن الإشكال بأن إيران تدخل عالم التكنولوجيا النووية. وهنا ينشأ السؤال: لماذا تأخر شنّ الحرب من قِبَل الكيان الصهيوني أو أمريكا ضد إيران طوال العشر أو الخمس سنوات الماضية مع كل ما أحدثته وتحدثه إيران من تطوير لسلاحها وقدراتها العسكرية؟ بل لماذا تأخر شنّ الحرب من قِبَل الكيان الصهيوني لعشر أو خمس سنوات ضد حزب الله، وهو يتسلح ويطوّر قدراته العسكرية يوماً بعد يوم؟

إيران بدورها منهكة بحصار اقتصادي طويل الأمد زاده الرئيس الأميركي دونالد ترامب قسوة على قسوته، وهي –إلى جانب ذلك– تعاني من مخلفات الحروب المفروضة عليها وعلى الامة في محاور صراع كثيرة، من العراق إلى سوريا واليمن ولبنان وأفغانستان وغيرها. من هنا فقد وصل خلافها مع الأمريكان –بعد اغتيال قاسم سليماني– إلى حافة الحرب.

ذلك أن الأمريكان والإيرانيين يلعبون بحذر شديد لعبة شد الحبل، كل واحد منهما يريد أن يوظف أزمة كورونا لصالحه وعلى طريقته الخاصة؛ فترامب يرغب في تشديد الحصار أكثر، وربما الإقدام على ضربات عسكرية خاطفة، في ظل انشغال إيران بمجابهة تفشّي الوباء، أما هي فتريد إيلام الأمريكان أكثر بالضغط عليهم عبر حروب تقودها الجماعات التابعة لها مثل الحشد الشعبي في حديقتها الخلفية في العراق وحزب الله في لبنان والمقاومة الفلسطينية في الأراضي المحتلة.

كما قد يأتي ما بعد كورونا في الاتجاه نفسه، إذا ما تصاعد الصراع الأمريكي– الروسي. وهو احتمال أقوى من التفاهم الأمريكي– الروسي بالشروط الروسية. ولكن على أية حال فإن روسيا بحاجة إلى علاقة قوية مع إيران، ولو بالمستوى الحالي، فكيف إذا احتدم صراعها مع أمريكا؟

أما الكيان الصهيوني ما بعد كورونا فسوف يصبح أضعف مما كان قبلها، أو في أثنائها، ولا سيما إذا ما ذهب إلى ضم الأغوار. الأمر الذي سيفاقم معركته مع الفلسطينيين، ويزيد من عزلته العالمية، ويربك عدداً من المطبعين معه. فالانتفاضة ربما تكون على الأبواب بعد كورونا.

2. انحسار هيمنة أمريكا وأثره داخليا وخارجياً

ناقشت بعض الصحف العربية أثر أزمة تفشي وباء كورونا في العالم، على مكانة الولايات المتحدة الأمريكية، وانتقد بعض كُتابها سياسات إدارة الرئيس الأمريكي، دونالد ترامب، وطريقة تعالمها مع أزمة تفشي الوباء.

وفي سياق هذه الانتقادات كتب أحمد عبد الباسط الرجوب في «رأي اليوم» اللندنية: «استيقظ العالم على هشاشة دول كبرى، كان يعول عليها في حماية العالم، إن هو تعرض إلى غزو فضائي، فإذا بها تسقط عند أول امتحان، يكاد يهزمها فيروس كورونا المرتبط بمتلازمة الشرق الأوسط التنفسية. عائلته معروفة وسبق التعامل معه أكثر من مرة، وللتذكير فإن فيروس سارس ظهر في منطقة هونغ كونغ الصينية عام 2003.

ويضيف: «الرئيس الأمريكي لم يأخذ بالجدية المطلوبة مواجهة وباء كورونا، حتى أن جوقة الإعلاميين المحيطين به قد اعتبروا أن هذا الفيروس خدعة إعلامية ليبرالية، والذي على أساسه وافق ترامب على استخدام دواء الملاريا لعلاج هذا الوباء، وفي ذات السياق فقد واجه الرئيس انتقادات كثيرة، خاصة من الديمقراطيين وعلى رأسهم نانسي بيلوسي، باتهمامها للرئيس ترامب بانتهاجه سياسات متخبطة، واتهامه بالفشل والكذب تجاه التعامل مع وباء كورونا.. الكثيرون في أمريكا والعالم لم يكن يتوقع أن أمريكا بهذا الضعف، في البنيات التحتية، أو أنها غير جاهزة حتى بالأقنعة الواقية على أقل تقدير.

ومن جانبها، تحدثت صحيفة «العرب» اللندنية عما وصفته بالتفاؤل الحذر الذي يسيطر على أسواق النفط في العالم، وهي الحالة التي باتت واضحة عقب مكالمة الرئيسين الأمريكي دونالد ترامب والروسي فلاديمير بوتن مؤخراً قبل اجتماع دول أوبك.

وربطت الصحيفة بين تفشي وباء كورونا في العالم ومعدلات الإنتاج في العالم، قائلة إن «النشاط الاقتصادي الضعيف الآن دفع أسعار النفط للتراجع مع مواجهة المنتجين خاصة في ظل إغراق السوق بإمدادات نفطية لا تجد طلباً.

وتحت عنوان «عن أمريكا ما بعد كورونا»، يقول إميل أمين في «الشرق الأوسط» اللندنية: «المؤكد أن هناك إشكالية حقيقية في مقدرة واشنطن على اختراق الستار

الحديدي الجديد، الذي هو صيني في هذه الحقبة التاريخية، وليس سوفياتياً. كان ذلك قبل ظهور أزمة كورونا، ومعها ازداد الوضع ضراوة؛ فلم تستطع ست عشرة وكالة استخبارية الحصول على أي معلومات دقيقة حول سبب تفشي الفيروس السريع، سواء في الصين، أو حتى في الداخل الإيراني، ولا يتوقف الفشل المخابراتي الأمريكي على الصين وإيران، وإنما يمتد كذلك إلى كوريا الشمالية وروسيا.

ويضيف: «أمريكا ما بعد كورونا فحتماً لن تكون كسابق عهدها، ولا سيما أن الصين وروسيا قد قامتا بملء كثير من مربعات النفوذ الاستراتيجي العالمي، وقد رأى العالم بضع طائرات روسية تحطّ على الأراضي الأمريكية حاملة المساعدات الطبية والمعدات المتقدمة لإنقاذ أرواح الأمريكيين».

ويبني جعفر الجعفري في «الميادين» اللبنانية سيناريو كوارثيا للوضع في الولايات المتحدة في أعقاب تفشي الوباء وضمن استنتاجات شخصية، إذ يرى «أن الانتشار السريع لوباء كورونا، وفشل السلطات المركزية في التعامل معه والسيطرة عليه، كما كان مأمولاً وما يرافقه من تفاقم الأزمة الاقتصادية، وتصاعد معدلات البطالة إلى مستويات غير مسبوقة، بل إنها ستتخطى أيضاً معدلات البطالة، إبان الأزمة الاقتصادية الكبرى في عقد الثلاثينيات من القرن الماضي، ومؤشرات المجاعة التي ستطال قطاعات اجتماعية واسعة، كل ذلك سيؤدي إلى جملة من الاحتجاجات، أبرزها فوضى عارمة قد تؤدي إلى اشتباكات مسلحة، وعصيان مدني شامل وحرب أهلية تهدد كيانية الولايات المتحدة.

ويخلص إلى أن كل ذلك قد يشكل «الأرضية الخصبة لتولي القيادات العسكرية زمام إدارة البلاد، وتسخير ما تبقى من قدرات ردعية أمريكية، وتوظيفها في صراع عسكري مفتوح مع الصين وروسيا، لقطع الطريق على تبلور تعدد الأقطاب الدولية، وتكريس السيطرة الأمريكية الأحادية المتآكلة بسبب كورونا.

ويتساءل موسى شتيوي في صحيفة «القدس» الفلسطينية: «هل تطيح أزمة كورونا بزعامة أمريكا؟»

ويقول: «كشفت أزمة كورونا مدى الوهن الذي أصاب الولايات المتحدة، ليس بسبب عدم كفاءة نظامها الصحي فحسب، وإنما أيضًا بسبب إدارة الأزمة التي جاءت مرتبكة ومترددة، مما ساهم بتصدرها لعدد الإصابات في العالم، حيث أصبحت تستحوذ على أكثر من خُمس الإصابات في فترة زمنية قصيرة جداً».

3. صعود الصين وأثره على تفرد النظام العالمي الأوحد

ان المنطقة مرشحة لتعمُّق حالة الفراغ أكثر فأكثر بسبب تراجع القوى الدولية الضابطة للوضع؛ فالأمريكان خفّت قبضتهم، والروس والصينيون أحدثوا اختراقات عسكرية واقتصادية ملموسة، ولكن ليس إلى الحد الذي يمكنهم من إمساك الأمور وفرض نظام جديد. ذلك أن النظام القديم الذي تشكل في المنطقة –منذ انسحاب العثمانيين الأتراك بعد الحرب العالمية الأولى– بصدد التفكك والتفسخ، ولكن النظام الجديد لم تتحدد صورته أو تتبين معالمه بصورة واضحة، وهذا الأمر لا يعدو أن يكون جزءا من حالة الانتقال الدولي الأوسع. والوضع العربي القادم سيكون من أهم سماته تراجع التأثيرات الخارجية بسبب انشغال الغرب بأزماته الداخلية وأولوية المعركة مع الصين، كل ذلك سيمنح تأثيرا أكبر للعامل المحلي والإقليمي، كما أنه سيعطي فرصة أوسع لأطراف مختلفة وقوى متناقضة. الدول السلطوية ستحاول تعزيز قبضتها الحديدية أكثر بسبب انشغال القوى الكبرى بأوضاعها الداخلية، ثم استغلال صعود النموذج التحكمي الصيني الروسي.

أما قوى التغيير فستتاح أمامها فرص التقدم أكثر في أجواء الفراغ والفوضى التي تمر بها المنطقة، وبسبب تزاحم القوى الدولية والإقليمية، وهو ما يرشحها للعودة مجددا إلى أجواء الربيع العربي وما بعده.

ومجلة فورين بوليسي ترى أن جائحة كورونا، شأنها شأن أحداث مفصلية في التاريخ كسقوط جدار برلين أو انهيار بنك ليمان براذرز، حدث عالمي مدمر يصعب تخيل عواقبه على المدى البعيد.

وسعيا منها للكشف عن ملامح النظام العالمي بعد انحسار جائحة كورونا، نشرت الصحيفة توقعات 12 عالما ومفكرا بارزا من مختلف أنحاء العالم، إليكم أبرز خمسة منها:

1– يرى **العالم ستيفن والت** أستاذ العلاقات الدولية في جامعة هارفارد الأميركية، أن جائحة كورونا ستسهم في تقوية الدولة وتعزيز الوطنية، وأن الحكومات في مختلف أنحاء العالم ستتبنى إجراءات طارئة لإدارة الأزمة المتمثلة في تفشي الوباء، لكن العديد من تلك الحكومات لن ترغب في التخلي عن السلطات الجديدة عندما تنتهي الأزمة.

كما توقع أن يسرع انتشار الوباء وتيرة تحول السلطة والنفوذ من الغرب إلى الشرق، ويدلل على ذلك باستجابة دول شرقية لمواجهة المرض مثل كوريا الجنوبية وسنغافورة بشكل أفضل من الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأميركية، كما أن تعاطي الصين

مع الوباء كان جيدا بالرغم من تعثرها في البداية عند اكتشاف الفيروس. وقال إن الاستجابة البطيئة والمتخبطة في أوروبا وأميركا من الأشياء التي شوهت الهالة التي طالما أحاطت بالتعامل الغربي.

ووفقا لوالت فإن الوباء الحالي لن يسهم في تغيير السياسة العالمية السائدة التي يطبعها الصراع، ودلل على ذلك بأن الأوبئة التي مرت على البشرية من قبل لم تضع حدا للتنافس بين القوى العظمى ولم تكن نقطة بداية لحقبة جديدة من التعاون العالمي.

وخلص إلى أن المعركة ضد الوباء الحالي سينقشع غبارها عن عالم أقل انفتاحا وأقل ازدهارا وحرية نظرا لتضافر عوامل عدة، من ضمنها الفيروس القاتل والتخطيط غير المناسب والقيادات التي تفتقر للكفاءة مما يضع البشرية على مسار مثير للقلق.

2- أما **روبن نيبليت**، الرئيس والمدير التنفيذي لـ«تشاثام هاوس» المعروف بالمعهد الملكي للشؤون الدولية ومقره بريطانيا، فيرى أن جائحة فيروس كورونا قد تكون القشة التي قصمت ظهر بعير العولمة الاقتصادية.

ويُرجع نيبليت ذلك إلى عوالم قبل ظهور الوباء، من ضمنها القلق الأميركي من تنامي القوة الاقتصادية والعسكرية للصين والذي أدى إلى إجماع سياسي على فصل الصين عن التكنولوجيا العالية التي تمتلكها الولايات المتحدة ومحاولة حمل حلفاء أميركا على أن يحذو حذوها.

كما أن الضغط الشعبي والسياسي المتزايد لخفض انبعاثات الكربون حماية للبيئة، أثار تساؤلات حول اعتماد العديد من الشركات على سلاسل التوريد من مسافات بعيدة.

ووفقا لنيبليت فقد أجبر تفشي «كوفيد-19» الحكومات والشركات والمجتمعات أيضا على تعزيز قدرتها على التعامل مع فترات طويلة من العزلة الاقتصادية الذاتية، ومن المستبعد في ظل كل ما سبق أن يعود العالم إلى فكرة العولمة ذات المنفعة المتبادلة التي طبعت أوائل القرن الحادي والعشرين.

3- رأي آخر مختلف عن سابقه حول تداعيات وباء كورونا على الاقتصاد العالمي، حيث يرى **كيشور محبوباني**، الباحث في معهد آسيا للبحوث بجامعة سنغافورة الوطنية ومؤلف كتاب «هل فازت الصين؟» حول تحدي الصين للهيمنة الأميركية، أن الجائحة لن تؤثر كثيرا على الاتجاهات الاقتصادية العالمية، ولكنها ستسهم في تسريع تغيير كان قد بدأ بالفعل، هو الانتقال من العولمة التي تتمحور حول الولايات المتحدة إلى عولمة

تتمحور حول الصين.

وأشار محبوباني إلى أن هذا السيناريو بات مرجحا في ظل فقدان الشعب الأميركي الثقة بالعولمة والتجارة الدولية، والذي بات أيضا يرى أن اتفاقيات التجارة الحرة أصبحت سامة، سواء في ظل حكم الرئيس الأميركي دونالد ترامب أو غيره.

وفي المقابل، لم يفقد الصينيون ثقتهم بالعولمة والتجارة الدولية نظرا لعدة أسباب بعضها يعود لأسباب تاريخية، حيث يدرك القادة الصينيون جيدًا الآن أن قرن الذل الذي عاشته الصين من عام 1842 إلى عام 1949 كان نتيجة لتهاونها والجهود غير المجدية التي بذلها قادتها لقطعها عن العالم.

وقد أثمر انفتاح الصين على العالم خلال العقود القليلة الماضية انتعاشا اقتصاديا وعزز ثقة الشعب الصيني بثقافته، فبات الصينيون يؤمنون بقدرتهم على المنافسة في أي مكان من العالم.

4- ترى نائبة المدير العام للمعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية، **كوري شاك**، أن عالم ما بعد فيروس كورونا لن يشهد استمرار زعامة الولايات المتحدة للعالم.

وقالت شاك في توقعاتها التي نشرتها فورين بوليسي، إن العالم لن ينظر إلى الولايات المتحدة بعد الآن كقائد دولي نظرا لسلوك الإدارة الأميركية الذي يقوم على تغليب المصالح الذاتية الضيقة وافتقار تلك الإدارة الفادح للكفاءة.

وأشارت إلى أنه كان بالإمكان التخفيف من الآثار العالمية لهذا الوباء إلى حد كبير من خلال قيام المنظمات الدولية بتوفير مزيد من المعلومات في وقت مبكر، الأمر الذي سيمنح الحكومات الوقت الكافي لإعداد وتوجيه الموارد للأماكن التي تعد أكثر حاجة إليها، وكان بمقدور الولايات المتحدة الاضطلاع بهذا الدور وتنظيم تلك الجهود لتثبت أن اهتمامها لا ينصب فقط على الشأن الداخلي الأميركي.

4. تغيرات جيوسياسية عالمية واستفادة محور المقاومة من اللحظة التاريخية

من غير المتوقع أن يؤدي فيروس «كورونا» إلى مثل ما انتهت إليه الحرب العالمية الثانية، لكن الاقتصاد العالمي يتعرض حالياً لأزمة كبيرة ستنهار على إثرها شركات عديدة، وترتفع البطالة، وسيفلس أفراد كثيرون، وستتعرض دول كثيرة لهزات اقتصادية واجتماعية عميقة. فلا يظن أحد أن الأزمة عابرة أو قصيرة المدى. لكن كل أزمة تحمل في طياتها بذور انطلاقة جديدة نحو فضاء أوسع، إن تم استيعاب الدروس المناسبة وإعادة النظر في الأولويات التي لا يحددها الوضع الاقتصادي فقط، وإنما أيضاً تغيير

النهج غير القادر على التعامل مع الأزمات. كما أن في وسع الأزمات أن تقود للهلاك، إن أصرت الدول أو الأفراد على نهجها السابق في إدارة الحكم والموارد. فإن استطاعت دولة شحيحة الموارد كالأردن إدارة الأزمة بفاعلية أكبر من دول أخرى أكثر ثراء، فهو درس صارخ على أن نظم الحوكمة أهم بكثير من الموارد المالية أحياناً، وأنَّ نظم الحوكمة الاقتصادية والسياسية في العالم العربي غالباً ما هي عليه من الضعف، بحيث تجعل الاستجابة لأي أزمة، صحية كانت أم اقتصادية أم سياسية، ضعيفة وغير فاعلة.

لا شك أن العولمة بمفهوم سيطرة اقتصاديات السوق الحرة قد انتهت إلى غير رجعة، بل إن نهاية اقتصاديات السوق الحرة لم تنتهِ على يد «كورونا» فحسب، وإنما بدأت بالأفول بعد الأزمة المالية العالمية عام 2008. من الواضح اليوم، أن تدخل الدولة ضروري في بعض القطاعات كالصحة والتعليم والنقل، في حين يجب ابتعادها عن نشاطات أخرى كالتوظيف وإدارة الأنشطة الاقتصادية. لكن الثورة المعرفية وثورة التكنولوجيا ربطت العالم بشكل لا يمكن تفكيكه، وإنما من الضروري أن تمتد وتتبدل العولمة لتشمل التعاون في مجالات كالوقاية الصحية ومكافحة الأوبئة، وأن تخصص الموارد الكافية لذلك بدلاً من تخصيصها لمجالات كالتسلح مثلاً. لم يخلق فيروس «كورونا» بسبب العولمة، لكن العولمة هي من ستنجح في محاربته من خلال بلورة رؤية فاعلة، مبنية على انعدام الأنانية والتفاف الأفراد نحو العمل الجماعي وتشارك المعلومة والمعرفة، تماماً كما نجحت في الخروج من أزمات مشابهة شهدناها في العقود الماضية.

وقد تنتج عن أزمة «كورونا» سلوكيات اجتماعية جديدة مبنية على التباعد الاجتماعي، والإقلال من الحركة الحيوية وتفعيل التواصل الإلكتروني، والاستعاضة عن النشاطات الاجتماعية التقليدية باجتماعات افتراضية عبر الإنترنت وغيرها من وسائل التكنولوجيا. كما قد يبدو للبعض أن المرحلة المقبلة ستشهد انحساراً في العمل السياسي وتقوقع المنادين بالإصلاح السياسي، من منطلق أن الإجراءات الاستثنائية في مواجهة هذا الوباء قد فرضت واقعَ حالٍ جديداً يبرر تعليق الحقوق والحريات الشخصية في سبيل الصالح العام أياً كان. لكن لا يجوز أن يتم الخلط بين تقديم الصالح العام وغياب المشروعية، بين مفاهيم الإصلاح السياسي وأدواته التي تتغير بتغير الظروف والضرورات، وبين التباعد الاجتماعي والحاجة لتقارب سياسي ومجتمعي داخل الدول، فالقيم الأساسية التي تشكل جوهر الإصلاح السياسي تبقى محصنة حتى في ظل الظروف الاستثنائية والحاجة للتساوي في المواطنة، وعدم التمييز في الحقوق والواجبات، هي سبب جوهري لتحقيق

التضامن الاجتماعي المطلوب لمواجهة الأزمات من خلال الاستجابة لتدخل الدولة للتعاطي مع مثل هذه الأزمات، وفرض إجراءات ضرورية قد تكون قاسية، سواء أكانت هذه الأزمات صحية أم سياسية أم اقتصادية أم مجتمعية. ما يجب مقاومته في عالم ما بعد «كورونا» هو محاولة بعض الدول لإبقاء بعض القيود على مواطنيها والتي إن كانت تصلح في ظروف مقاومة الوباء، إلا أنها وبعد زوال الأزمة تصبح عائقاً للتنمية والبناء على نجاح الدولة في مواجهة أزمة وجودية ضربت صميم العمل الإنساني وإنتاجيته. ما يحتاجه العالم هو المزيد من الانفتاح والديمقراطية، وليس المزيد من السلطوية.

ولقد أثبتت أزمة «كورونا» أن الدول التي لديها نظم حوكمة فاعلة هي الأقدر على مواجهة الأزمات والتغلب عليها. لا تستطيع دول العالم أجمع، ولا يستطيع العالم العربي تحديداً، تجاهل دور نظم الحوكمة في بناء الأرضية المناسبة لمستقبل واعد. ولا يستطيع أحد أن يعزل تطوير نظم صحية فاعلة، مثلاً عن تطوير نظم حوكمة فاعلة في باقي المجالات، فالحوكمة لا يمكن تجزئتها بعد اليوم، والأخطار المحدقة بالعالم تتطلب معالجات كلية تنال المجالات كافة.

أزمة «كورونا» يمكن أن تكون حافزاً لبداية جديدة تبني نظم حوكمة مختلفة في المجالات كافة، قادرة على التعامل مع تحديات القرن الحادي والعشرين، كما يمكن لها أن تكون مقدمة لمستقبل أكثر سواداً. في عالم اليوم لن يساعدنا أحد ما لم نساعد أنفسنا.

5. استراتيجيات قوى المقاومة في الانتصار على الأزمات الداخلية المستجدة

لقد تعرض العالم العربي للعديد من الأزمات التي سبقت أزمة «كورونا» في العقد الأخير، فالثورات العربية التي بدأت في عام 2011، كانت سبباً مباشراً لضعف نظم الحوكمة السياسية، كما كان انخفاض أسعار النفط ابتداء من عام 2014، سبباً مباشراً لطرح تحديات أمام العديد من نظم الحوكمة الاقتصادية، وضرورة الاعتماد على الإنتاجية. وها هي «كورونا» تكشف محدودية العديد من نظم الحوكمة الصحية، ونظم البنية التحتية والإدارة في المنطقة. فما الطريق لبداية جديدة؟

كما أن دول وأحزاب محور المقاومة تتعرّض في هذه المرحلة لحصار مالي واقتصادي أميركي غير مسبوق، فبرغم وصول محور المقاومة إلى مرحلة شبه الردع الاستراتيجي المتبادل، من الناحية العسكرية، بينه وبين الحلف الأميركي كحصيلة للمواجهات العسكرية التي خاضها محور المقاومة ضد القوات الأميركية وحلفائها على جبهات عدّة، خلال العقدين المنصرمين.

أمّا الحصار المالي الأميركي على حزب الله في لبنان، فقد وصل إلى مديات غير مسبوقة، وبات يصيب الدولة اللبنانية بعمومها، بغية تشديد الضغط على الحزب، في محاولة لانتزاع تنازلات جوهرية منه تتعلّق بأمن كيان العدو الصهيوني، وترسيم الحدود مع فلسطين المحتلّة، بما يتيح لإسرائيل سرقة المزيد من الغاز اللبناني والعربي، هذا فضلاً عن تنازلات أخرى في قضية توطين اللاجئين الفلسطينيين، بما ينسجم مع مخططات «صفقة القرن». وبغض النظر عن مبادرة فرنسية أو غيرها، الظاهر أنّ الولايات المتحدة ماضية إلى النهاية في هذا النهج، حتى ولو أفضى إلى انهيار لبنان وتقسيمه، بحسب ما بات يُتداول في بعض مراكز الأبحاث المدعومة أميركياً وسعودياً. وأمّا عن «قانون قيصر» الجائر ضد سوريا، الذي يرمي إلى تعطيل مشروع إعادة إعمار الدولة السورية، فحدِّث ولا حرج.

ومن المرجّح أن تستمرّ هذه الحرب الاقتصادية الضروس ضد أركان محور المقاومة، بغضّ النظر عمّا ستُفرزه الانتخابات الرئاسية الأميركية المقبلة، على عكس ما تذهب إليه بعض التحليلات التي تربط بين وصول الديموقراطيين إلى سدّة الحكم، وبين استمرار هذه الحرب الاقتصادية.

لم يَعُدْ، اليوم، في جعبة الأميركي سلاح قليل التكلفة عليه، عند استخدامه ضدّ أطراف محور المقاومة، سوى سلاح العقوبات الاقتصادية، وعليه، قد يُعَدّ التخلّي عن هذا السلاح طواعيةً، بمثابة إعلان استسلام. ويرى كثيرون أنه ليس من الحكمة بمكان الرُكون إلى هذا الاحتمال، بل يضيفون أنه يلزم الجهاد لنزع هذا السلاح الأخير من يد الأميركي، أو تقليل فعاليته على أقل تقدير، على غرار ما حقّقه محور المقاومة في مواجهة آلة الحرب الأميركية. ويمكن لأطراف محور المقاومة خوض معركة الانعتاق من قيود العقوبات الاقتصادية الأميركية، عبر مسارين باتا معروفَين، أحدهما: تطوير مستوى التعاون الاقتصادي بين أطراف المحور ذاته، حتى يحاكي ما وصل إليه مستوى التعاون والتنسيق العسكري بين هذه الأطراف؛ والآخر: وقف أي رهانات على انفتاح غربي ــ لن يأتي من دون تقديم أثمان باهظة ــ والإقدام على خيار التوجه شرقاً، وبشكل حاسم واستراتيجي، لا سيما أنّ كسب الرهان على الغرب مشكوك فيه لأسباب عدة، منها ما يتعلّق بأوضاع الغرب الداخلية المستجدة. وقد طرح السيد حسن نصر الله هذا الخيار في أكثر من مناسَبة، أخيراً، والشرق قادر وحاضر لتلقّف خيارات كهذه.

وما تصريح السفير الصيني في لبنان بشأن استعداد بلاده للاستثمار في البنية التحتية

اللبنانية، بقُرابة الاثني عشر مليار دولار، وما العرض الصيني المقدَّم لإيران في صيغة اتفاقية شراكة استراتيجية للاستثمار في البنية التحتية وقطاع النفط، إلا دليلان على مدى جدية الصين في هذا المضمار، حيث تصبّ هذه العروض الصينية مباشرة في طاحونة مشروع الحزام والطريق الصيني. لكن الصين، وبشكل مفهوم، لن تمضي في خيارات كهذه ستكون لها تبعات في المواجهة القائمة حالياً بينها وبين الولايات المتحدة، إلّا إذا ضمنت جدية الطرف المقابل، على أن يكون توجهه هذا استراتيجياً لا عودة عنه، وليس توجّهاً تكتيكياً تفاوضياً من أجل تحسين شروط التفاوض مع الغرب، وربما يفسر هذا انخفاض منسوب الحماسة الصينية، بقدرٍ ما، تجاه هذه العروض بعد تقديمها.

لا يُظْهِر تطور الأحداث أنّ الأميركي سينسحب من المعركة الاقتصادية والمالية التي يشنّها على أطراف محور المقاومة من تلقاء ذاته، ومهما بدا خيار التوجّه شرقاً مكلفاً ودونه عقبات ترتبط بتوازنات دولية وأخرى داخلية، فإنّ البدائل المطروحة تبدو أكثر كلفة، ويشير مسار الأحداث إلى أنّ محور المقاومة سيكون مُضطراً إلى الإقدام على خيار التوجه شرقاً عاجلاً أم آجلاً، فضلا عمّا يأمّنه هذا التوجه من مصالح حيوية لشعوب المنطقة على الصعيد المعيشي والتنموي في المديين المتوسط والبعيد، والأهم ما يشكله هذا التوجّه من دعامة حقيقية لاستكمال مسيرة التحرّر الوطني وبناء الأوطان، لا سيما إذا ما اقترن بمشروع تعاون إقليمي في ما بين دول الإقليم الطامحة للخلاص من السطوة الغربية، وإلى الأبد.

إن المقاومة أفشلت مشروع الشرق الأوسط الجديد، وستبقى المنطقة عصية على التطويع، ولن تُحكم إلا بإراداتها، ومن حضارتها ومن عقيدتها وفكرها، واستراتيجية المواجهة، هي مزيد من المقاومة، ومزيد من الاستعداد لكل الاحتمالات، ومزيد من الممانعة، ومزيد من التمسك بالحقوق، لا سيما في فلسطين والقدس، ليكن ذلك واضحاً، فإن اللبنانيين معنيون بتحرير مزارع شبعا، وتلال كفر شوبا، وبناء دولتنا القوية القادرة الممانعة والمقاومة والتي تستطيع التصدي للإسرائيلي.

في فلسطين، المقاومون يحددون بأنفسهم وظيفتهم الهادفة الى استعادة الحقوق في فلسطين والقدس، ومزيد من الوحدة والتصدي للفتن في كل أشكالها، العرقية أو الدينية أو المذهبية، ومزيد من التلاحم والتحالف بين سورية وإيران وحزب الله وفلسطين بكل قواها وبالأخص حماس، ومزيد من استنهاض الشارع العربي بكل الوسائل: الإعلامية، والثقافية، والتربوية، والسياسية، وما إلى هنالك.

إن الشرق الأوسط هو شرقنا وسيكون مقاوماً ممانعاً لا يقبل الهيمنة ويرد الشر والعدوان، شرق أوسط نحن أهله... شرق أوسط نحن سكانه... شرق أوسط قيمه هي قيمنا نحن، القيم العربية، القيم الإسلامية، قيم أهل الدار، وليست قيم الواردين والمستوردين والمزروعين زوراً وبهتاناً على أرضنا وفي قلبنا...

فالشرق الأوسط الجديد الذي يرسمونه لنا هو الهجين التفتيتي والتقسيمي والفيدرالي على أسس عرقية أو دينية.

في المنطقة الآن محوران محور تحالف وممانعة لكل احتلال ومقاومة له، ومحور تبعية للسيد الأمريكي وآخرين لا يجرؤون على الوقوف بوجه سياساته، موضحاً أن الأمريكيين مستمرون في محاولاتهم لتحقيق هذا المشروع ولو بأشكال مختلفة رغم الإخفاقات المتعددة في أفغانستان والعراق ولبنان وفلسطين وسورية وإيران، إن استراتيجية المقاومة في المواجهة هي مزيد من المقاومة والممانعة والتلاحم والتمسك بالحقوق.

يجب على المقاومة أن تبقى في الطليعة وعلى الأمة كلها أن تقف خلف المقاومة ومع المقاومة ومساندة للمقاومة، فعلى الشاعر، والمسؤول السياسي، والمرأة، والرجل، والنقابي، والإعلامي، أن يكونوا جميعهم في المعركة.

السؤال عن المستقبل، في المستقبل الصراع قائم، والأمريكي سوف يستمر في محاولاته لتحقيق مشروعه رغم الإخفاقات التي حلت به في كل المنطقة، فرغم كل هذه الإخفاقات إلا أن الأمريكي مستمر في مشروعه وسوف يستمر بأشكال مختلفة في هذا المشروع.

من هنا كان المساس المتواضع في معادلة ميزان القوى بين الكيان الصهيوني وأية دولة عربية، أو مقاومة فلسطينية، وبما لا يُقارن مع الاهتزاز لتلك المعادلة في الوقت الراهن، مدعاة لشن حرب استباقية أو توسعية أو تأديبية لا تبقي ولا تذر. وهذا ما حدث في العدوان الثلاثي على مصر عام 1956، وفي 1967، وفي 1982 ضد المقاومة الفلسطينية في لبنان، وفي 1991 و2003 ضد العراق.

بل ومنذ أكثر من سنة، أعلن نتنياهو أن حزب الله يحوّل صواريخه البالستية، إلى صواريخ ذكية (تصيب هدفها المحدد بهامش قليل جداً من الخطأ). علماً أن كل يوم تأخير يعني أن الخسائر والمخاطر على الكيان الصهيوني تصبح أشد مما كانت عليه. وإن الوضع نفسه بالنسبة إلى قطاع غزة، ولو نسبياً، بأقل إمكانات، بسبب بُعده وحصاره فلسطينياً ومصرياً وعربياً، ولكن بخسائر ومخاطر يجب أن يُحسب لها ألف حساب كذلك.

إن كل الدول الإسلامية والعربية مهددة بالمخططات الأمريكية القائمة والمستمرة التي تحاول القضاء على حركات المقاومة، والنهضة بين العرب والمسلمين.

ودور المقاومة في لبنان وفي فلسطين هو صمودها والعمل على تنمية قدراتها، والتعاون وتوظيف كل قدرات المثقفين والإعلاميين، والخطباء والسياسيين، للاستعداد لمواجهة العدو بكافة الوسائل.

فبين انتصار المقاومة 14 آب 2006 وانفجار الفاجعة 4 آب 2020 وفي أعقابِ التّطوراتِ والمستجِدّات سَواءٌ على صعيدِ الجائحةِ الكورونيّةِ وطنيّاً وإقليميّاً ودوليّاً...أو على صعيدِ الانفجارِ الفاجعة في المرفأ التاريخيّ العريق لبيروت «أُمِّ الشرائع»، والتّداعيات المُزلْزِلة فوَّتتِ الحكومةُ فرصةً ثمينةً بِرِهانِها الطويلِ المدى على صندوق النّقد الدولي، وبعدم التوجُّهِ شرقاً، لملاقاة عروضٍ سخيّةٍ قدّمتها دولٌ صديقةٌ لو استُجيبَ لها، لكانت فَتحت للحكومةِ منافذ واسعةً أمامَ حُلولٍ عمليّةٍ فورا، وشقّت طُرُقاً لإنقاذِ لبنانَ من فظيعِ محنتِهِ والمآسي. أوَلم يكنِ الأجدى للبنانَ، بألّا تُقدِمَ الحكومةُ على تركِ المسؤوليةِ فجأةً بِلا استشارة؟ وفي تِلكُمُ الظروفِ العصيبة؟ ولو فعَلتِ الحكومة ذلك، لما خَذَلت أو خُذِلت، لأنّ موازينَ القُوى كانت لِتسمَحَ للحكومةِ بالفلاح، لو كانت لبَّت نداءَ التوجُّه شرقاً، ولكانت وضعت لبنانَ فوراً، على سكّةِ الخلاصِ الاستراتيجيّ. أمّا الأدلّةُ الثبوتيةُ على صحّةِ ما نقولُ فعديدة، ويكفي أن نُشيرَ الى شاهدٍ من أهْلِهِ، هو نفسُهُ المبعوثُ الأميركيُّ السّيد هيل، الذي، في زيارته لبنان، جا مُتكبِّراً مُتجبِّراً لِيفرِضَ شروطاً أميركيةً على لبنان، توحي بإقصاءِ حزبِ الله عن الحكومة اللبنانيّة تمهيداً لنزعِ سلاحِه، وإذ بالمبعوثِ نفسِهِ، بعد تصريحاته المزَلزِلة، وبعد صدورِ الحكمِ المهزلة عن المحكمةِ الدولي يُصرِّحُ بما معناه: إنّ أميركا تعايشت وتعاملت مع حكوماتٍ سابقةٍ شاركَ فيها حزبُ الله (وفي مثل هذا التّصريح الفصيح طبعاً) إشارةٌ واضحةٌ إلى أنَّ أميركا على استعدادٍ للتعاملِ مع الحكومة اللبنانيّة المُقبلة، التي لن تُشكَّلَ إنْ لم يكن حزبُ اللهِ، فيها، شريكاً.

إنّ المقاومةَ شرطٌ وجوديٌّ في حياةِ الإنسان، لأنه فطرةٌ طبيعية وسُنَّةٌ تواكِبُه مع نشأتِه وفي تكوينه، سواء بمناعته الجسدية، أم بمناعته النفسيّة، مناعةٌ جسدية لِدفع أذىً يطالُ الجسد، ونفسيّة لِردعِ ظلم ينالُ من النّفس... أولم تلِدْنا أمهاتُنا أحراراً؟

ألا تتجلّى هذه السِّمات في سِيَرِ الأنبياءِ والشهداءِ والعلماءِ والقادةِ العظماء؟ وعند الشعوب المناضِلة والأقوياءِ في نفوسهم مُذ كان التمرّد على الظلم والطغيان؟

فالحروبُ الاقتصاديةُ العدوانيةُ بديل عن الحروب العسكرية الظالمة عند فشلها في

تحقيقِ غاياتها وأهدافها السياسيّة. لقد سارع حلف العدوان بعد تعثُّر مخططه الدمويّ الى إحكام أدوات الحصار والخنق الاقتصادي على سوريّة وإيران، وكذلك على لبنان، بينما كانت الحكوماتُ اللبنانية المتعاقبة قاصرةً بخططها وتوجهاتها عن ابتكار وتنفيذ البرامج الوطنية، التي ترعى فرصاً جِديّة لتوفير مستلزمات الصمود، ولتطوير القُدرة على كسر الحصار الغربي الاستعماري، والتصدّي لمسار الانهيار الاقتصادي والمالي، الذي كان أبرز وجوهِه النافرة اختناق القطاعات المنتجة، وتمادي الريعيّة والفساد.

ولا تزال الضرورة الوطنية تفرض على لبنان اعتمادَ خطةٍ للصمود الوطني، ترتكز على تطوير قطاعات الإنتاج وإحياء الثروة الحقيقية، وتثبيت دعائم الاستقلال الوطني، والتحرُّر من الهيمنة الاستعمارية عبر التمسُّك بشراكة الحياة مع سوريّة والعراق وإيران وسائر دول الشرق. وإنّ عدم ملاقاة هذه الفرص بخطوات عملية يوقعُ لبنان رهينة في فخّ الهيمنة الغربية اللصوصية أيا كان غطاؤها الخادع، وهو ما يجب أن ينتبه إليه جميع اللبنانيين القادرين على توسيع الفرص ومضاعفة القدرات عبر تنويع الخيارات. بيننا وبين الاستعمار قضايا لن تُصفَّى بالمناشدة والخنوع أو التملّق العاطفي... بل هي تدعونا الى كفاح عمليٍّ شاقٍّ وطويل... بيننا وبين الاستعمار قضية فلسطين التي شاؤوها لقمة سائغة للصُّهيونية المجرمة، ولكنها، لن تكون في معركة الوجود مهما أبطأ الزمن إلَّا لأبنائها بدمائنا وبجهادِ الأجيال ستكون. فلا صفقة قرنٍ ولا صفقاتِ قرونٍ تعيد فلسطين لأهلها عربيّةً أبيّةً. لقد ضاع عمرُنا الرّخيص بالمساومة، وفلسطين لن تعود إلّا بالمقاومة المسلّحة أساساً، وتجلياتها السياسيّة والدبلوماسيّة والجماهيريّة والثقافيّة، تكون في خدمة الكفاح المسلّح. قضية فلسطين هي قضيتُنا المركزيّة في الصراع العربيّ الصُّهيونيّ. «لا صلح لا تفاوض لا اعتراف، المقاومة وُجِدت لتبقى وما أخذ بالقوة لا يُستردّ بغير القوة»، الرئيس الراحل جمال عبد الناصر. إنّ وضع حدٍّ للنزف الخطير، الذي يعيشه اللبنانيون، ومنعَ الاختناقات المعيشيّة المتزايدة يستدعي التزامَ فكرةِ التحرُّر من الارتهان للغرب، وأقلُّه، الانتقال الى علاقات وشراكات متوازنة على أساس تكافؤ المصالح مع الشرق والغرب، والارتكاز على تنمية القطاعات الإنتاجية، وملاقاةُ فرصِ الشّراكة مع الجِوار القومي والإقليمي والشرقي على أساس المصالح المشتركة والمتكافئة. والبديل من هذا الخيار ليس سوى المزيدِ من التسوُّلِ والاستدانة، وفي الاستدانة تبعيةٌ وإذلالٌ، وفي مطلق الأحوال لم تعد متاحة كالسابق، وباتت قرينةَ شروطٍ وإملاءاتٍ تخنقُ البلادَ مالياً واقتصادياً، وترهن إرادتَها السياسيّة للهيمنة الأجنبي.

وفي هذا المجال توّج السيد حسن نصرالله مقاربته للمواجهة الدائرة تحت عنوان الحرب المالية، بمناقشة مضمون المعادلة التي يعرضها الأميركي، وملخصها هو محاولة مقايضة خطر الجوع بالتنازل عن مصادر القوة وفي مقدمها سلاح المقاومة، كطريق لحماية أميركا لأمن كيان الاحتلال، وفرض مصالح الكيان خصوصاً في ملف النفط على حساب لبنان، ورسم السيد معادلة تعمّد إبقاءها عنواناً عاماً دون تفاصيل بقوله للأميركي بلسان اللبنانيين، أنت تعرض عليّ الجوع أو التخلي عن السلاح، وتهدد بقتلي في النهاية. والجواب هو أننا لن نجوع ولن نترك السلاح ونحن سنقتلك، مكرراً سنقتلك ثلاث مرات، تأكيداً على المعنى.

وكشف أن «لدينا معادلة مهمة وخطيرة ولن أتحدث عنها، في حال استمر الأميركيون في محاولتهم لتجويع اللبنانيين»، وأضاف «من سيضعنا بين خيار القتل بالسلاح أو الجوع، سيبقى سلاحنا في أيدينا، ونحن سنقتله». وشدد على أن على اللبنانيين ألا يفرحوا بقانون قيصر لأنه يؤذيهم كثيراً وربما بما هو أكثر من سوريا. كما أكد لجميع المراهنين أن المقاومة لن تسمح بالفتنة. وهي مستعدّة لتأمين النفط بالليرة من إيران وأكد أن الصين جاهزة للاستثمار في لبنان ودعم اقتصاده.

مصادر سياسية قرأت في كلام السيد نصرالله بداية مرحلة جديدة على مستوى مواجهة محور المقاومة للعقوبات الماليّة الأميركيّة التي رسم السيد نصرالله بلسان المحور أهدافها، بتأمين أمن كيان الاحتلال، ومضمون المرحلة الجديدة، توفير مقدرات اقتصادية عنوانها تشبيك وتبادل اقتصادي، من دون المرور بالدولار الأميركي، سواء عبر التبادل العيني أو التبادل بالعملات الوطنية، أو التمويل الميسّر الذي يمكن للصين تقديمه، لكن في نهاية المطاف إذا توهّم الأميركي أن السلاح سيبقى صامتاً مهما بلغت الأزمة الاقتصادية من مراتب، فهو واهم، لأن معادلة أمن الكيان في الميزان والميدان ستكون الوجهة التي تغيّر المعادلة. مشيراً الى أنّ «مسؤولية كل القوى السياسية والدينية عدم السماح بالذهاب ببلدنا إلى الفوضى والفتنة المذهبية أو السياسية.

وخلاصة القول، أن ميزان القوى في المنطقة العربية، الإيرانية– التركية لن يكون في مصلحة أمريكا والكيان الصهيوني بعد جائحة كورونا، ليس بسببها مباشرة. لأن الرياح التي تهب في أثنائها أو ستهب بعدها ستكون باتجاه الرياح السابقة لها. وما دام دونالد ترامب هو القادم بعد كورونا، كما ترجح الاستطلاعات الأمريكية، فهو على الأغلب في غير مصلحة أمريكا والكيان الصهيوني، بالرغم من أنف «صفقة القرن» التي لم تعد تذكر.

الخاتمة

من باب أن التاريخ يكتبه المنتصرون على كورونا توقع جون آلن، مدير معهد بروكينغز، أن المنتصرين في المعركة ضد فيروس كورونا القاتل هم من سيتسنى لهم كتابة التاريخ كما هي الحال عبر تاريخ البشرية. وواشنطن قد فشلت في اختبار القيادة وأن العالم قد بات أسوأ حالا نتيجة لذلك الفشل. وقال إن كافة الدول باتت تعاني من الإجهاد المجتمعي الناجم عن انتشار الفيروس بطرق جديدة وقوية، وإن الدول التي تنجو بفضل نظمها السياسية والاقتصادية والصحية الفريدة، ستفوز على الدول التي خرجت بنتائج مختلفة ومدمرة في معركتها ضد الفيروس القاتل.

وخلاصة القول، أن ميزان القوى في المنطقة العربية، الإيرانية– التركية لن يكون في مصلحة أمريكا والكيان الصهيوني بعد جائحة كورونا، ليس بسببها مباشرة. لأن الرياح التي تهب في أثنائها أو ستهب بعدها ستكون باتجاه الرياح السابقة لها. وما دام دونالد ترامب هو القادم بعد كورونا، كما ترجح الاستطلاعات الأمريكية، فهو على الأغلب في غير مصلحة أمريكا والكيان الصهيوني، بالرغم من أنف «صفقة القرن» التي لم تعد تذكر.

أما على صعيد لبنان المقاوم فإن ابتكار خطة وطنية لكسر الحصار وللخروج من حلقة الاستنزاف والدمار، يوجب أمرين اثنين علمياً وعملياً.

علمياً:رؤية برنامجيّة سياسيّة اقتصاديّة اجتماعيّة إنتاجيّة وطنيّة.

عمليّاً: خطوات شجاعة عاجلة لإحياء قطاع الإنتاج، والتحرُّر من الرِّيعيّة التّابعة، وبناءُ الشركات العربيّة والإقليميّة والدوليّة التي تدعمُ إعادةَ بناءِ الاقتصاد الوطني، وتطوير موارد جديدة تُنعش الحركة الاقتصادية، وهذا يوجب لبنان من الارتهان لأحادية الارتباط بالغرب الساعي إلى الهيمنة والنّهب والسّلب والعمل على اعتماد توجُهات جديدة تحقق التوازن في البناء الاقتصادي، والخلاص من الريعية لردّ الاعتبار إلى الصناعة والزراعة والصناعة السياحيّة وجميع فروع الإنتاج المعرفيّ، مما يُسهمُ في توسيع المجالاتِ الاقتصادية المجدية، والاعتماد على الشراكات المفيدة، وملاقاةِ الفرصِ، التي تمنعُ الاختناق في قبضة الهيمنة الغربية الاستعمارية. وقد أثبتت الكارثةُ، التي تعرّضت لها البلاد أنّ لنا في هذا الشرق دولاً شقيقة وصديقة، يمكن أن نستندَ إلى الشراكة الوثيقة معها في المصالح والتوجُهات الاستقلالية بعلاقات متكاغئة بعيدةٍ عن الأطماع والهيمنة والنهب، وقد قدّمت مساعدتها لنا دون سؤال أو أيّ شكل من أشكال الاستثمار السياسي التملّقي الرخيص.

المراجع

1. دور انتصار المقاومة العربية والإسلامية في تقويض مشروع الشرق الأوسط الجديد نشر بتاريخ الثلاثاء,14 شباط/فبراير 2012، بمشاركة الدكتور محسن بلال وزير الإعلام، والدكتور حسين الحاج حسن النائب في البرلمان اللبناني عن كتلة الوفاء والمقاومة، والدكتور موسى أبو مرزوق نائب رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، والشيخ محمد حسن أختري سفير الجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق،
http//:www.baath-party.org/index.php?lang=ar
2. إيران وأمريكا.. نحو إعادة تقييم استراتيجية بعد فيروس كورونا.
3. فيروس كورونا: هل تطيح أزمة الوباء بزعامة أمريكا؟ / قسم المتابعة الإعلامية/ بي بي سي 4 /أبريل/ نيسان 2020
4. التحولات الجيوسياسية لفيروس كورونا وتآكل النيوليبرالية – (الجزء 1)/ محمد الشرقاوي/ باحث أول بمركز الجزيرة للدراسات./ نشرت في: 23/03/2020
5. مقالات الكتاب الأربعاء 30 نيسان 2020 ما بعد جائحة كورونا: كيف نكون في اهتمام الآخر؟ مازن صاحب/ كورونا الوباء أزمات فساد النفط التدخلات الخارجية العراق.
6. فورين بوليسي/ هكذا يبدو العالم بعد كورونا.. نهاية النفوذ الأمريكي وصعود الصين.
7. عمرو علان / السبت 3 تشرين الأول Top of Form2020/كسر القيود بِمِعوَلٍ شرق كاتب وباحث في الشؤون السياسية/ اشترك في «الأخبار» على يوتيوب.
8. مروان المعشّر/ أزمة «كورونا» وإمكانية التغيير للأفضل/ 30 آذار/مارس 2020/ مقال تحليلي/ المصدر: Gettyتم نشر هذا المقال في صحيفة الشرق الأوسط.
9. جريدة البناء: الرئيسية/أولى/ما العمل لإنقاذ لبنان/ ما العمل لإنقاذ لبنان/ ما هو عِلميًّا وعَمليًّا مُقترَحُنا الخَلاصيّ؟/ سبتمبر 2, 2020/ زاهر الخطيب.